

الكتابات العربية الجنوبية

في سورية

(النقوش الصفائية)

بقلم: منى المؤذن

تنتشر الكتابات العربية المشتقة من الأبجدية المسندية، والمنقوشة على الصخور في شبه الجزيرة العربية والأردن وجنوب سورية، وتجرى لها الآن مسوحات ودراسات لحفظها وتوثيقها، وقد وزعت وقسمت إلى الكثير من الأنواع ولكل نوع عدد من الفروع، وغالباً ما تنسب هذه الفروع إلى الأماكن التي تواجد فيها، فالنمودية مثلاً وهي نوع من الخط المسند لها فروعها فيقال النمودية الحجازية والنمودية التبوكية والنمودية النجدية، ولكن بشكل عام كل هذه الأنواع تتميز أولاً بأنها عربية وتنسب إلى العرب العاربة^(١)، وهي تتألف من ٢٨ حرفاً فهي في عدد أحرفها تقابل أبجديتنا الحالية، كما أن هناك تشابهاً واضحاً في شكل الحرف بين الأنواع المتعددة ولكن بدرجات متباينة، وأن الحرف الواحد في كل نوع يمكن أن يأخذ أكثر من شكل وقد يصل إلى ستة أشكال (راجع الجدول رقم ١-٢).

والذي يساعد على معرفة الحرف القراءة ومعرفة الكلمة من خلال النص، والدراسات الجارية الآن لهذه الأنواع في سورية تنحصر في الجنوب في المنطقة الشرقية لجبل العرب، وتمتد من جبل أسيس شمالاً وحتى قرية اسعنا جنوباً. ومن جبل العرب شرقاً وحتى صحراء الزلف غرباً، وتتركز الكتابات في هذه المنطقة في مجموعة من الأودية، أهمها واديان متوازيان هما: وادي الغرز ووادي الشام اللذان يصبان في بحيرة الرحبة، أما باقي النصوص فإنها تنتوزع على مسافات بعيدة مثل موقع رجم المره وموقع جبل أسيس وخربة الامباشي وغدير الدرب.. وغيرها.

وهكذا تم تحديد ١٣٣ موقعاً منها ٣٦ موقعاً كانت قد حددت سابقاً من قبل الرحالة والعلماء والمكتشفين الأوائل والباقي تم تحديده حديثاً، هذا يعني أن عدداً كبيراً من المواقع الجديدة سوف تدرس نصوصها

^(١) ورد في تاج العروس العرب بالضم خلاف العجم، والأعراب منهم بالفتح سكان البادية، والعرب العاربة: هم الخالص منهم وأخذ من لفظه فأكده كقولك ليل لايل والعرب المستعربة أو مستعربة دخلاء، قال أبو الخطاب بن دحية المعروف بذي النسيين (العرب أقسام الأول عاربة وعرباء وهم الخالص وهم تسع قبائل من ولد ارم بن سام بن نوح وهي عاد وثمود وأميم وعييل وطسم وجديس وعليق وجرهم وروبار ومنهم تعلم اسماعيل عليه السلام العربية، والقسم الثاني المستعربة وهم بنو اسمعيل ولد معن بن عدنان بن أدد.

وستعطي أضواء جديدة على تاريخ المنطقة.

أما بالنسبة لنوعية هذه الكتابات فقد وجدنا عدداً محدوداً من النقوش الثمودية واليونانية واللاتينية والعربية الشمالية وهي لا تتجاوز العشرات، أما ألوف النقوش فهي صفائية، وسأحصر البحث هنا في هذا النوع من الكتابة.

-أهم من بحث في الكتابات الصفائية في سورية:

أول من بدأ الكشف عن النقوش الصفائية هو الإنكليزي سيرل جراهام Cyril Graham وذلك سنة ١٨٥٧م فهو الذي جمع نقوشاً وقدمها إلى الجمعية الجغرافية الملكية بلندن وحدد أماكن وجودها، وقام بعده الألماني Johann Wetzstein يوهان فنتز شتاين عام ١٨٥٨ برحلة إلى جنوب سورية ونسخ ٣٧٩ نصاً وألف كتاباً عن آثار المنطقة في سهل حوران والجبل ونشر عدداً من هذه النقوش.

أما في عام ١٨٨٢ قام جوزيف هاليفي Joseph Halevy بنسخ عدد من النصوص وهو الذي أطلق عليها اسم الكتابات الصفائية نسبة إلى مكان وجودها في تلّول الصفا المحيطة بالصبة البركانية الأساسية، كما أنه تعرف على ستة عشر حرفاً من أبجديتها.

كما أن العالم الفرنسي دوسو R.Dussaud نشر ١٨٢ نقشاً في مجلة سيريا العدد العاشر سنة ١٩٢٩.

أما الذي تمكن من الكشف عن جميع الحروف الصفائية، ووضع القواعد الأساسية في هذه الكتابة هو العالم الألماني إنوليتمان Ennolittmann، فقد قام مع بداية القرن الحالي بالتعاون مع جامعة برنستون بحملة في الأعوام ١٩٠٤ وحتى ١٩٠٩، وقام بنشر نقوش عددها ١٣٠٢ في مجلة سيريا العدد الرابع سنة ١٩٣٤.

وقد نشر ركمنس G.Rycmans مجموعة من النصوص من وادي الرشيدة في مجلة Melanges Syriens قدمها له دوسو، أما أكبر مجموعة فقد نسخها موريس دونان Dunand وزوجته وقد نشرت ركمنس مع مجموعة من الكتابات الصفائية في جامع النقوش السامية Cqrups Inscriptionum Semiticarum ويمكننا القول بأن العمل في هذا الميدان توقّف في سورية منذ عام ١٩٢٠ إلى أن تشكلت بعثة أثرية سورية - بريطانية في عام ١٩٩٥، بإدارة مشتركة من قبل السيدة منى المؤذن والسيد مايكل مكدونالد^(١)، وقد عملنا في الموسم الأول كما ذكرت سابقاً على تتبع مسيرة المكتشفين الأوائل وتعرّف المواقع التي زاروها مع اكتشاف مواقع جديدة، وتحديد الجميع على خرائط مفصلة وذلك تمهيداً للمواسم القادمة، مع تصوير جميع النقوش المنسوخة وإدخال جميع المعلومات في الحاسوب.

أما في موسم عام ١٩٩٦ فقد انحصر العمل في موقع العيساوي وتم تسجيل معظم نصوصه، و لايضاح العمل بالأرقام فإن مجموع ما نشر سابقاً عن هذا الموقع هو ٤٧٨ نصاً، أما مادونه في هذا الموسم فهو ٨٨٩ نصاً، وعلينا أن نتابع العمل مستقبلاً لكي نكمل توثيق جميع نصوص هذا الموقع فقط.

^(١) وكان أعضاء البعثة السورية في موسم عام ١٩٩٥، السيد حسين زين الدين والسيد غازي علولو والأنسة دينا بكور، أما البعثة البريطانية فكانت مؤلفة من الدكتورة ليلي نعمة والطوبوغي السيد رينيه سوبان.

-الموسم الثاني في عام ١٩٩٦ كان الفريق السوري مكوناً من السيد حسين زين الدين والأنسة ريم الصالح، أما الفريق البريطاني فهو مؤلف من الدكتورة ليلي نعمة والدكتورة جيزالدين كينغ.

النقش على الصخر:

نقشت الكتابة الصفائية على الحجر البازلتي القاسي بأداة حادة وصلبة ويأخذ الخط مظاهر متعددة منها المزوى ومنها اللين ومنها شبه المزوي ومنها الحروف المنقلبة ٩٠ درجة، أما أسلوب التنفيذ فإما التطريق المباشر أو غير المباشر ويقلب على الحرف عندها أن يكون عريضاً وواضحاً، أو بالحز بأداة حادة ويكون الحرف رقيقاً وصغير الحجم غالباً، ولا يوضح جميع ما ذكرت يمكن دراسة ما نقش على الصخرة التالية وهي من موقع خربة الامباشي^(٣) وما نقش عليها يوضح معظم مظاهر الحرف الذي أشرت إليه سابقاً.

- | | |
|--------------------|--|
| (١) يعشم بن عبر | (الحروف شبه مزواة ومنقلبة ٩٠ درجة) |
| (٢) لمسكنيل بن قدم | (الحروف مزواة ومنفذة بالتطريق غير المباشر) |
| (٣) لعذبئيل بن كت | (الحروف ذات مظهر لين ومنفذة بالحز) |
| (٤) لكت بن سبر | (الحروف ذات مظهرين ومنفذة بالتطريق) |

عند طرف الصخرة نجد سبعة خطوط ينتهي كل منها بدائرة.

(الصورة رقم ١)

أسلوب النص الصفائي:

إن النصوص الصفائية بشكل عام يمكن القول بأنها تذكارية والنسب هو الموضوع الأساس الوارد فيها ومن النادر أن نجد نصاً لا يبدأ بالتنسيب. وكما هو معروف فقضية النسب شيء هام جداً للإنسان العربي وهناك نصوص وصل فيها النسب إلى الجد السادس، أما الأسماء الواردة فمنها ما هو معروف إلى الآن وقريب من أسماعنا مثل (نصر، آدم، عبد، أمير، حاج، خالد، عمر، مطر، أوس، ... الخ)، ومنها ما هو غريب مثل (حملج، أبشمن، عضضت، حضب، نففت... الخ) ويمكن أن نأخذ المثال التالي وهو من موقع الامباشي والنص مؤلف من اسمين (سعد بن ثمر) ونلاحظ أن الاسم الأول مألوف جداً أما الثاني فهو غريب بالنسبة لنا (الصورة رقم ٢).

وهناك أسماء استعيرت من أسماء الحيوانات مثل (نمر، عقاب، نسر، ورن، ضب، أسد، مهر، حوت...).

كما نجد أسماء دينية مركبة وهي ثلاثة أنواع الأول يقرن باسم الله مثل (عبدله - عبد الله) وسعد - له - سعد الله (وهب - له - وهب الله) والنوع الثاني مضاف إلى أسماء آلهة أخرى مثل اللات (وهب لت - وهب اللات).

أما النوع الثالث وهو الأكثر تداولاً إضافة اسم الله بلفظ (ال) مثال ذلك (عبدئيل - عبد الله) و(خرنيل - خير الله) و(سمعنيل - اسماعيل) و(خلنيل - خليل الله... الخ).

وإذا ابتعدنا عن الأسماء الدينية فإننا نجد الأسماء التي لها صيغة الصفة مثل (سكران وسهران وحميان

^(٣) لقد تم تزويدي مجموعة من صور النقوش الصفائية المكتشفة في خربة الامباشي والتي قدمها لي مشكوراً الاستاذ أحمد طرطجي الذي عمل بالتنقيب في هذا الموقع، وسأقوم بنشر هذه المجموعة مستقبلاً إن شاء الله، والنص يحمل الرقم ٨٤.

ونازل وفالح وثابر وشاهر... الخ).

وينتهي التتسيب إلى ذكر القبيلة ويعبر عنها بكلمة (آل) وقد وجدنا أن هذا اللفظ يستعمل أيضاً عند ذكر الرهط أو الفخذ أو البطن أو العمارة أو القبيلة ولعل من أكبر القبائل الصفائية قبيلة وهبيل والنص التالي^(٤) سيوضح ما ذكرت:

النص:

(الغبرئيل بن سالم غبرئيل بن حوت ذال زمر ذال كن ذال صنف ذال وهبيل ورعي هضان سنة نجي تيم بن أنعم هدر وقنط بشنا وهام [...] هنمرت وتتنظر هسمي فهيبعل سمن روح.. وعور...". (الصورة رقم ٣).

المعنى:

"لغبرئيل بن سالم بن غبرئيل بن حوت من فخذ زمر من بطن كون من عمارة ضيف من قبيلة وهبيل الذي رعى الأغنام سنة نجمي يتم ابن أنعم في هذه الديار وخاف الأعداء وهام (...) في منطقة النمارة ونظر إلى السماء (وعاربه) فياسيد السموات فرّج عنه (...) وعمى (...).

وكان العلماء يعتبرون أن القبائل الكبرى الأساسية التي ينسب لها الصفائيون هم آل وهبيل وصنيف وعود واعتمدوا^(٥) في ترتيبهم هذا بأن جد وهبيل وصنيف وعود قد وصلوا إلى مراتب الآلهة وحديثاً وبعد اكتشاف هذا النص نلاحظ بأن صنيف تنطوي نسباً تحت وهبيل لذا فإننا نرى الآن بأننا يمكننا أن نطلق عليهم اسم الوهبيليين -العوذيين نسبة إلى أجدادهم.

بعد ذكر النسب يقوم الكاتب بإيراد جملة قصيرة يحدد فيها الحدث الآتي الذي يقوم به مثل الرعي أو الانتجاع، أو أنه حظ رحاله في هذه الديار التي نقش فيها النص، أو أنه نجا من الأعداء ويمكن في هذه الحالة ذكر الروم، وبأن أغلب النصوص تتوضع على رجوم حيث يتم دفن الميت ويقوم المشاركون في هذه العملية بنقش أسمائهم على الحجر ويصرحون بأنهم قاموا بعملية الرجم.

-يستعمل في الصفائية فعل وجم بمعنى رجم -على فلان، ويمكن أن نذكر فيها حالته النفسية حيث يذكر بأنه رجم وهو حزين أو يائس أو ترح.. الخ.

هذا لا يعني أن فعل "وجم" يستعمل فقط في حالة الدفن، ولكن يمكن إيراده في حال اعتبار الشخص في عداد المفقودين مثال ذلك النص التالي وهو من موقع زملة^(٦) ناصر: (الصورة رقم ٤).

"لشامت بن صعد بن شأس ووجم على أنعم وعلى أمة وعلى صحرث وعلى بنت أخيه المسيبة"

"لشامت بن صعد بن شأس الذي وضع رجوماً على أنعم وعلى أمة وعلى صحرث وعلى بنت أخيه المسيبة".

^(٤) سينشر هذا النص إن شاء الله في الحوليات الأثرية السورية وهو يحمل الرقم MU321 وهو من نصوص موقع العيساري.

^(٥) راجع كتاب سورية الجنوبية حوران، مقال "د. ميليك بعنوان النقوش والكتابات الصفائية ص ٢٧٩.

^(٦) النص يحمل الرقم ٤٢ من موسم عام ١٩٩٥م.

أي أن شامت بن سعد قد تعرض أهله للغزو فقام بدفن أنعم وأمه وصحرت وكذلك وضع رجماً لبنت أخيه علماً بأنها سبيه وليست في عداد الأموات.

وبشكل عام فإن النصوص كما ذكرت سابقاً بأنها تذكارية مشحونة بالعاطفة أما النصوص الوثائقية مثل تحديد ثمن فرس أو شراء أمة أو تحديد ملكية.. الخ فإنها نادرة.

بعد ذكر الجملة الخبرية يمكن أن نجد نصوصاً يذكر فيها كلمة وسنة، وذلك لتمديد التاريخ، ولكن من الصعب استعمال كلمة تحديد هنا، لأن الصنفين في معظم النصوص لم يعتمدوا تاريخاً معيناً كالتاريخ السلوقي مثلاً الذي اعتمده التدمريون ولكنهم أرخوا بحدث هام بالنسبة لهم مثل "سنة قتل معن" أو سنة قبر آرامي" أو "سنة نجا أنعم" وهناك تواريخ ليست بالهامية مثل "سنة رعي القطعان". ولكن في بعض الحالات القليلة جداً يمكن استعمال عدد معين للدلالة على التاريخ وهذه الأعداد تتبع تاريخ بصرى، ومن الأمثلة الجيدة التي وجدت في تل العيساوى نص ورد فيه التاريخ كالتالي "سنة أرخت عشر^(٧)". ونلاحظ هنا استعمال كلمة "أرخت" لتحديد الزمن وهذا من النصوص الفريدة في العربية حيث يعود للقرن الثاني الميلادي ويذون فيه كلمة تاريخ لتحديد السنة.

كما نجد نصوصاً مؤرخة مجازاً مثل "سنة حرب النبط" أي أنها سنة ١٠٥ م، وإجمالاً فإن النقوش الصنفية تعود للقرن الأول قبل الميلاد وللقرن الأول والثاني والثالث الميلادية.

ويمكن أن ينتهي النص بعبارات الدعاء التي تطلب عادة من الآلهة، أما أسماء هذه الأرباب والآلهة فهي ثلاث وترد (لت أو ألت) وهي مؤنث (إل) و(إل) يقصد به الله وهو اله السماء، وهناك الرضي والرضو وهي آلهة مذكورة ومؤنثة وخاصة بالأرض، وهناك ذكر للاله "نشر" أو "نشر" وقد ورد عند الانباط باسم ذو الشرى.

ولديهم اله القوافل ويدعى شيع القوم وقد وجد هذا اله عند التدمريين. أما اله الأكبر فهو بعسل شمين وصيفته عند الصنفين (بل - سمن)، كما نجد لديهم عبادة الجد الأكبر للقبيلة وهو بمثابة الحامي لها مثل "جد وهبئيل" و"جد ضف" و"جد عوذ"، وقد ورد اسم اله جديد في تل العيساوى وهو "شع نو"^(٨)، الذي عيد هذا اله في جنوب سورية ولدينا تمثال له يعود إلى القرن الثاني الميلادي وفي تدمر أيضاً.

أما الدعاء بحد ذاته فهو إما تطلب للسلامة أو الغنيمة أو الجزاء أو القبول أو الراحة والتفريح أو النجاة أو المساعدة الهناء أو الحلم والأناة وكل ذلك لمن لا يطمس النصوص أو الرسوم، أما الادعية المعاكسة لها فهي العمى والخرس والعرج والرجم والحزن والثأر لمن يشوه الرسم ويطمس الكتابة.

وبشكل عام يمكن القول إن هذه العناصر التي ذكرتها سابقاً وهي التنسيب والنص والتاريخ والدعاء نادراً ما تأتي في نص واحد وعندها نعتبره نموذجاً أما في معظم الأحيان فإننا نجد عنصراً أو عنصرين فقط.

الرسوم على الصخر:

بقي أن نذكر أن هذه النقوش ترافق برسوم منفذة من قبل الكتبة أنفسهم وغالباً ما يتم الرسم قبل الكتابة

^(٧) النص يحمل الرقم MU ٣١٩

^(٨) ورد اسم هذه الآلهة في النص رقم MU ٢٩٠

□ المصادر والمراجع:

- ١- ولغسون تاريخ اللغات السامية، ١٩٨٠.
- ٢- مجموعة بحوث أثرية بإشراف ج، م دانتر، سورية الجنوبية حوران.
- ٣- علي أبو عساف، الحوليات الأثرية السورية ١٩٧٣.
- ٤- محمود محمد الروسان، القبائل النبطية والصنودية دراسة مقارنة (تنمة المرجع).
- ٥- مجموعة النقوش المنسوخة من قبل منى المؤذن ومايكل ماكdonald عام ١٩٩٥ أو ١٩٩٦ مع التقارير الأولية.

1- Corpus Lnscriptionum Semiticarium tomus I

2-D . enno littmann : syria - publication of the princeton university archacological Expeditions to Syria 1904 -5 and 1909, Division iv.

3-M. Macdonald , M. Muazzin et nehme, nehme, les inscriptions safitique de syrie, cent quarante après leur découve the craib , 1996, pages 435-494.

□□

الأبجدية الصفائية

١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠
١	٢	٣	٤	٥	٦	٧	٨	٩	١٠	١١	١٢	١٣	١٤	١٥	١٦	١٧	١٨	١٩	٢٠	٢١	٢٢	٢٣	٢٤	٢٥	٢٦	٢٧	٢٨	٢٩	٣٠	٣١	٣٢	٣٣	٣٤	٣٥	٣٦	٣٧	٣٨	٣٩	٤٠	٤١	٤٢	٤٣	٤٤	٤٥	٤٦	٤٧	٤٨	٤٩	٥٠	٥١	٥٢	٥٣	٥٤	٥٥	٥٦	٥٧	٥٨	٥٩	٦٠	٦١	٦٢	٦٣	٦٤	٦٥	٦٦	٦٧	٦٨	٦٩	٧٠	٧١	٧٢	٧٣	٧٤	٧٥	٧٦	٧٧	٧٨	٧٩	٨٠	٨١	٨٢	٨٣	٨٤	٨٥	٨٦	٨٧	٨٨	٨٩	٩٠	٩١	٩٢	٩٣	٩٤	٩٥	٩٦	٩٧	٩٨	٩٩	١٠٠

